مصابن مدينة نابلس

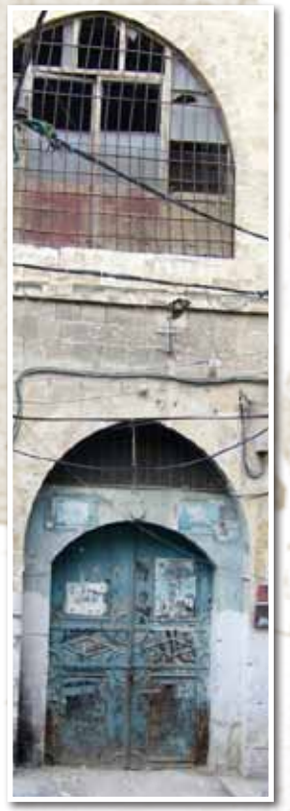

مؤسسة التعاون
WELFARE ASSOCIATION

مصابن

مدينة نابلس

مؤسسة التعاون
WELFARE ASSOCIATION

مسيرة مستمرة من الدعم التنموي و الإنساني في فلسطين

A Continued Commitment to Sustainable Development & Humanitarian Assistance in Palestine

عنوان الكتيب : مصابن مدينة نابلس

الناشر : المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس- مؤسسة التعاون

حقوق النشر : مؤسسة التعاون، ٢٠١١

قام بأعداد النص : د. إيمان العمد – رئيسة قسم الهندسة المعمارية – جامعة النجاح الوطنية

شكر خاص للوكالة السويدية للتنمية الدولية – سيدا

التي دعمت المشروع المشترك لمنظمات الحفاظ على التراث و دعمت إنتاج هذا الكتيب

A special thanks to the Swedish International Development Cooperation Agency – SIDA

Who greatfully funded this booklet as part of their support for the Joint Program for Four Cultural Heritage Organizations

المحتوى

1. المقدمة: الصابون النابلسي 5

2. المصابن 9

1.2 المصبنة 11

2.2 الوصف المعماري لمبنى المصبنة 17

3.2 الواجهات الخارجية للمصابن 23

4.2 المصابن في نابلس القديمة 30

3. تصنيع الصابون 37

1.3 المواد التي تدخل في صناعة الصابون 39

2.3 الادوات المستخدمة في صناعة الصابون 40

3.3 عملية تصنيع الصابون 42

4. المراجع 53

1. المقدمة:

الصابون النابلسي

عُرفت صناعة الصابون من زيت الزيتون في نابلس منذ القدم، وقد ساعد على ذلك وفرة الانتاج من الزيت وزيادته عن الحاجة في بعض السنوات. فقد وجدت اشجار الزيتون بكثافة في مدينة نابلس والريف المحيط بها. وورد ذلك في وصف المدينة على لسان الرحالة والمؤرخين، فقد ذكر ابن بطوطه الرحالة المغربي المشهور (المتوفى سنة 779هـ /1377م) عند زيارته للمدينة سنة 1355م ان «مدينة نابلس، وهي مدينة عظيمة، كثيرة الاشجار، مطردة الانهار، من اكثر بلاد الشام زيتونا ومنها يحمل الزيت الى مصر ودمشق». اما مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس وقاضيها (المتوفى سنة 927هـ/ 1521م) فوصف نابلس بأنها «كثيرة الاعين والاحجار والفواكه ومعظم الاشجار بضواحيها زيتون». في حين ان ايليا جلبي، وهو سائح تركي زار نابلس سنة 1082هـ/ 1671م وجد ان «نابلس محاطة بجبال تكسوها كروم العنب وبجنائن تزدان بأشجار الليمون والرمان والزيتون والتين» (كلبونة، 1992: 120 – 122).

وقد جاء ذكر صناعة الصابون من زيت الزيتون على لسان "شيخ الربوة الدمشقي" شمس الدين ابو عبد الله محمد ابو طالب الانصاري (المتوفى سنة 727هـ/ 1327م) في كتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، فقد اورد وصفاً دقيقاً لمدينة نابلس خلال القرن الرابع عشر الميلادي "نابلس مدينة خصبة، نزهه بين جبلين ..... وهي كأنها قصر في بستان، قد خصها الله تبارك وتعالى بالشجرة المباركة وهي الزيتون، ويحمل زيتها الى الديار المصرية والشامية والى الحجاز والبراري مع العربان ..... ويعمل منه الصابون الرقي، يحمل الى سائر البلاد التي ذكرنا والى جزائر البحر الرومي" (خضير، 1999 : 204).

يستدل من الوصف الذي اورده الشيخ الدمشقي ان صناعة الصابون في نابلس كانت مزدهرة بشكل ملحوظ في اواخر القرن الثالث عشر وبدايات القرن الرابع عشر الميلادي، وان المدينة كانت في ذلك الوقت تصدر الصابون الى بلدان عربية عدة، وكذلك الى جزر البحر الابيض المتوسط (Le Strange, 1890 : 513). وقد حافظ الصابون النابلسي على شهرته بأنه الافضل في سوريا الكبرى خلال العهد العثماني وما بعده (دوماني، 1998: 226)، كما حافظت نابلس على نوعية الصابون التي باتت تنسب اليها، واستمرت في الطريقة التقليدية في الانتاج حتى اضحى صابونها هو الاجود بين انواع الصابون التي تحاكيه بطريقة الصنع او بالمواد المستعملة في الصناعة.

2. المصابن

1.2 المصبنة

يصنع الصابون في مبانٍ صممت خصيصاً لهذه الغاية تسمى مصابن او صبانات، ويتكون مبنى المصبنة في الاساس من ثلاث مستويات، لكل منها وظيفة معينة في عملية انتاج الصابون (انظر شكل رقم 1 وشكل رقم 2).

1. المستوى تحت الارضي

يقع هذا المستوى تحت ارض المصبنة وتحتل ابار الزيت مساحة كبيرة منه، وتكون هذه الابار ضخمة، محفورة في الارض ومبطنة بالحجر، تستعمل لتخزين زيت الزيتون، المادة الرئيسية في صناعة الصابون. ويتراوح عدد الآبار في المصبنة ما بين ثلاثة الى سبعة آبار، لكل واحد قدرة استيعاب خاصة به تتراوح ما بين خمسة اطنان الى ثلاثين طن، وفي بعض الاحيان قد تصل الى اكثر من ذلك. وكان البئر الكبير يسمى (البحرة) بينما يسمى الصغير (الجانبي) وتلفظ (الجنيب) (دوماني، 1998: 302).

كما يوجد ايضا تحت مستوى الارض غرفة صغيرة تعرف بالقميم، تقع مباشرة تحت مكان طبخ الصابون ويمكن الوصول اليها من الطابق الارضي بواسطة درج ضيق. خلال عملية طبخ الصابون، يتم في القميم حرق الوقود تحت الحلة المصنوعة من النحاس السميك، والتي تبنى بين المستوى الارضي وما تحته، فيظهر سطحها المستدير في مكان طبخ الصابون بينما يكون عمقها غائراً في الارض. كما توجد مدخنة تحمل الدخان الناتج عن الاحتراق الى الخارج..

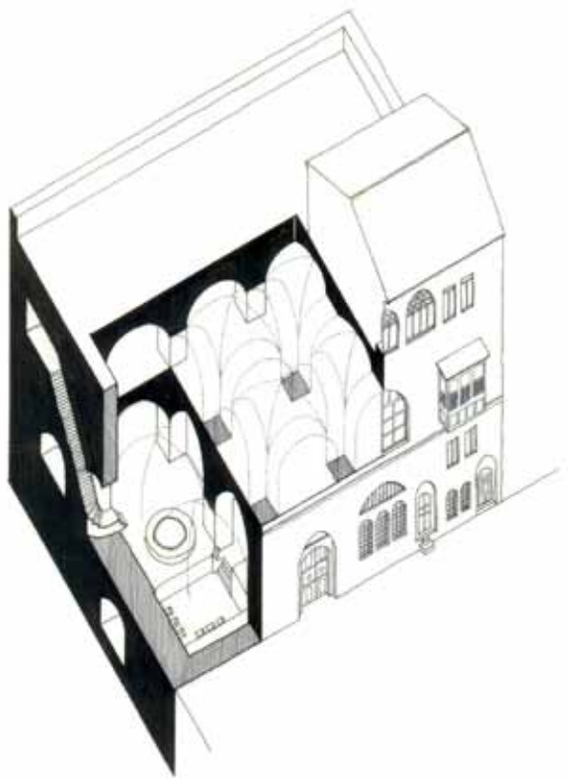

شكل رقم (1): رسم ثلاثي الابعاد يبين الاجزاء المختلفة للمصبنة، المصدر: (عمد، 1997)

2. المستوى الأرضي

يسمى الطابق الارضي في المصبنة (البلاط) وهو مكان العمل الرئيسي الذي يتم فيه طبخ الصابون، ويتكون من فراغ كبير معتم، نوافذه صغيرة وسقفه مرتفع. ويمكن الوصول مباشرة من الشارع الى الطابق الارضي من خلال المدخل الرئيسي للمصبنة، ويوجد بالقرب من المدخل مكتب صاحب المصبنة الذي يتكون من غرفة صغيرة تستعمل للقيام بالاعمال الخاصة بالمصبنة بالاضافة الى استقبال الزوار. للمكتب نوافذ عدة، يطل بعضها على الداخل ويمكن لصاحب المصبنة مراقبة سير العمل من خلالها، بينما يطل البعض الاخر على الشارع.

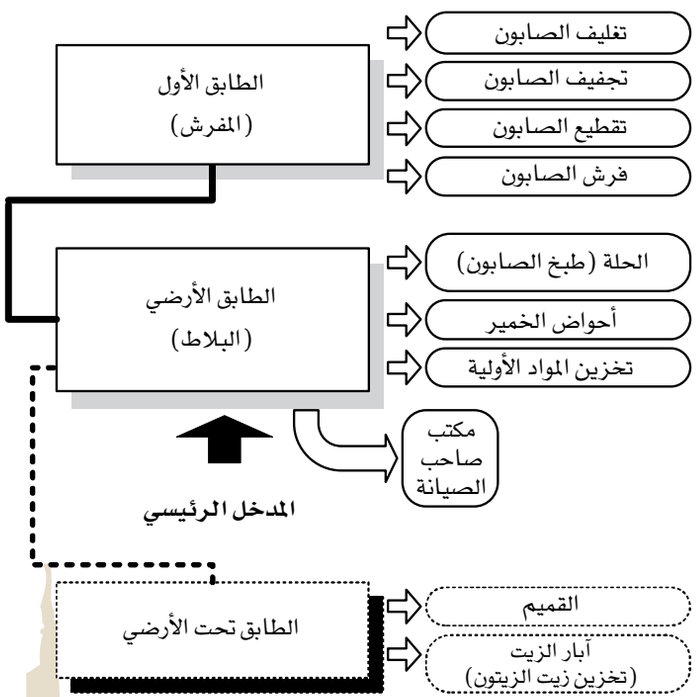

شكل رقم (2): رسم تخطيطي يوضح المستويات المختلفة في مبنى المصبنة والوظائف التي تتم في كل مستوى

وتتم عملية تحضير وطبخ الصابون في مكان مخصص لذلك (انظر شكل رقم 3)، يرتفع عن مستوى الارض ببضع درجات ويحتوي على قدر كبير او (حلة) مصنوعة من النحاس، يصل سمك قاعدتها الى حوالي 2،5 سم، ويبلغ قطرها حوالي 2م، ويصل عمقها الى مترين او اكثر، ويبنى حولها جدار سميك من الحجر الناري. تتسع الحلة الى ما يقارب 250 جرة زيت اي ما يزيد عن خمسة اطنان، بالاضافة الى المواد الاخرى التي تدخل في صناعة الصابون (الشريف، 1999: 66). ويوجد في اسفل الحلة حوض نصف دائري يسمى المبزل متصل بها بفتحة يمكن اغلاقها، تستعمل لسحب ماء الخمير من اسفل الحلة اثناء عملية طبخ الصابون. وبجوار المبزل توجد احواض التخمير، وعددها في العادة من ثلاثة الى ستة احواض، تستعمل لوضع ماء الخمير والماء الصافي.

ويوجد الركن المخصص لطبخ الصابون في مكان قريب من درج ضيق، طويل ومعتم، يصل الطابق الارضي بالطابق الاول حيث يُحمل الصابون بعد الطبخ. كما يوجد في الطابق الارضي ايضاً اماكن في زوايا المصبنة لتخزين الوقود والمواد الاولية المستخدمة في صناعة الصابون.

شكل رقم (3): منطقة طبخ الصابون في مصبنة كنعان التي هدمت عام 2002

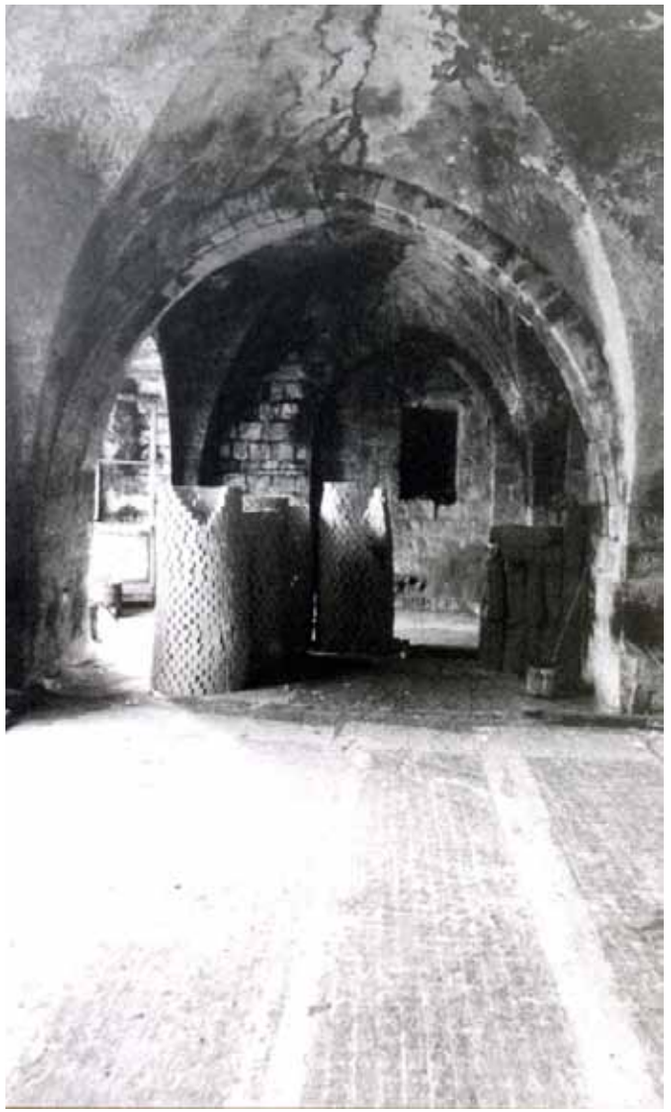

شكل رقم (4): المفرش في مصبنة عاشور

3. المستوى الاول

يسمى هذا الطابق (المفرش) ويستخدم لبسط الصابون المطبوخ على الارض (انظر شكل رقم 4). وللطابق الاول طبيعة مختلفة كلياً عن الطابق الارضي حيث يتسم بالتهوية والاضاءة الجيدتين، ويتكون من فراغ واسع تتخلله اعمدة ضخمة تحمل عقود متقاطعة واقواس. وللمفرش نوافذ كبيرة جداً مقارنة بالنوافذ الصغيرة المستخدمة في الطابق الارضي للمصبنة، وفي مباني البلدة القديمة بشكل عام، ووظيفة هذه النوافذ ادخال الهواء للمساعدة على تجفيف الصابون. ويتم في هذا المكان بسط الصابون وتقطيعه وتجفيفه ولفه واعداده للبيع.

2.2 الوصف المعماري لمبنى المصبنة

من الملاحظ ان المصابن التي وجدت في مدينة نابلس كانت تجمع في تصميمها بين الشكل المعماري والوظيفة. ومع ان هذه المباني بنيت اساساً لوظيفة محددة وهي تصنيع الصابون، الا انها احتوت على فراغات مصممة بعناية وجمال، وظهرت بها في بعض الاحيان تفاصيل معمارية، كالزخارف فوق المدخل، او الاقواس الحجرية في الداخل، او الكوات في الجدران. وقد كانت صناعة الصابون محصورة بين عائلات المدينة ذوات الجاه والسلطة والنفوذ فجاءت مباني المصابن لتعكس هذه الدلالات ولو بشكل غير مباشر.

شكل رقم (5): المفرش في مصبنة طوقان

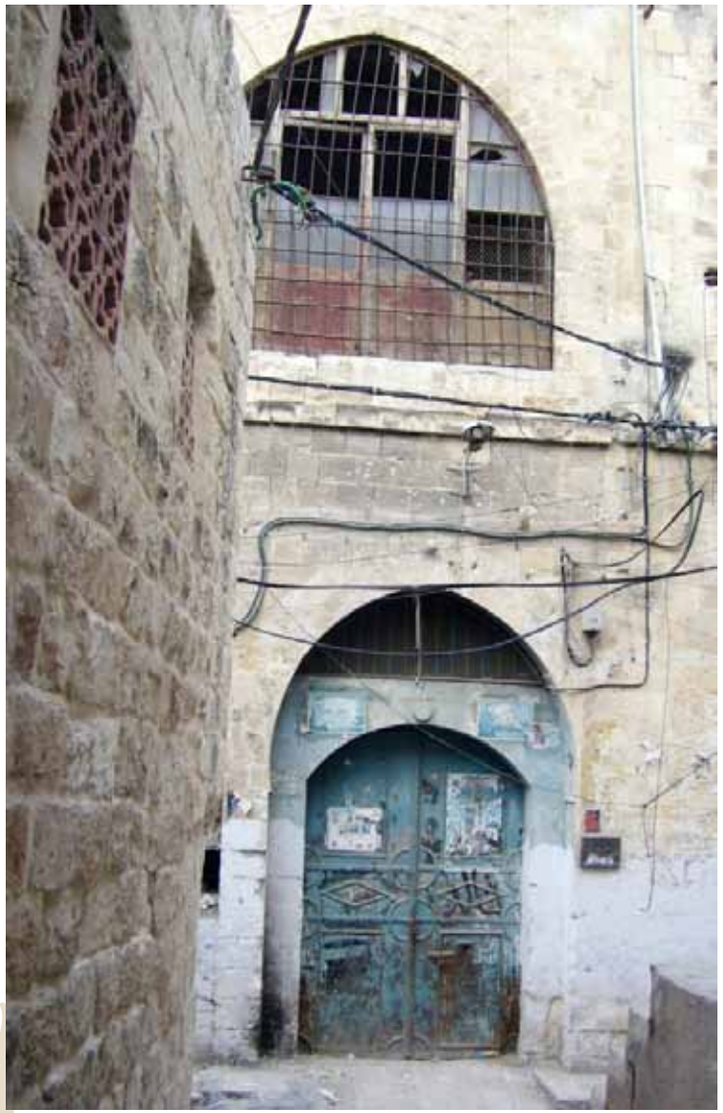

شكل رقم (6): المدخل الرئيسي في صبانة عاشور

ومع ان مباني البلدة القديمة في نابلس كانت تتسم بالانفتاح نحو الداخل وبأنها كانت تبنى حول افنية فتوحة تصطف حولها الغرف وفراغات المبنى المختلفة، الا ان التصميم المعماري للمصابن اعتمد فيه انفتاح المبنى الى الخارج، بشكل يظهر العلاقة الوطيدة بين المبنى والشارع من خلال المدخل المباشر والنوافذ المطلة على الخارج.

يتميز مبنى المصبنة بانه ضخم وله مدخل كبير (انظر شكل رقم 6)، صمم ليسهل دخول احمال المواد الاولية المستخدمة في صناعة الصابون من زيت وقلو وشيد وجفت، وخروج الصابون الجاهز والمعد للبيع. ويتكون مبنى المصبنة من طابقين، الارضي واسع ومعتم وله سقف عال يتكون من عقود متقاطعة محمولة على اعمدة ضخمة جداً، تبلغ مساحة المقطع العرضي للعمود حوالي 1،5 الى 2 متر مربع. وتعمل الاعمدة على تقسيم الفراغ الداخلي المفتوح الى اجزاء متساوية، ولا يوجد في الطابق الارضي جدران سوى تلك التي تحدد مكتب صاحب الصبانة. واهم وظيفة في الطابق الارضي هي طبخ الصابون وتحتل الجزء الاكبر منه، كما توجد فراغات جانبية لتخزين الوقود والمواد الاولية وابار ضخمة تحت الارض لتخزين زيت الزيتون، لها فتحات في ارض المصبنة يمكن سحب الزيت منها بواسطة دلاء خاصة.

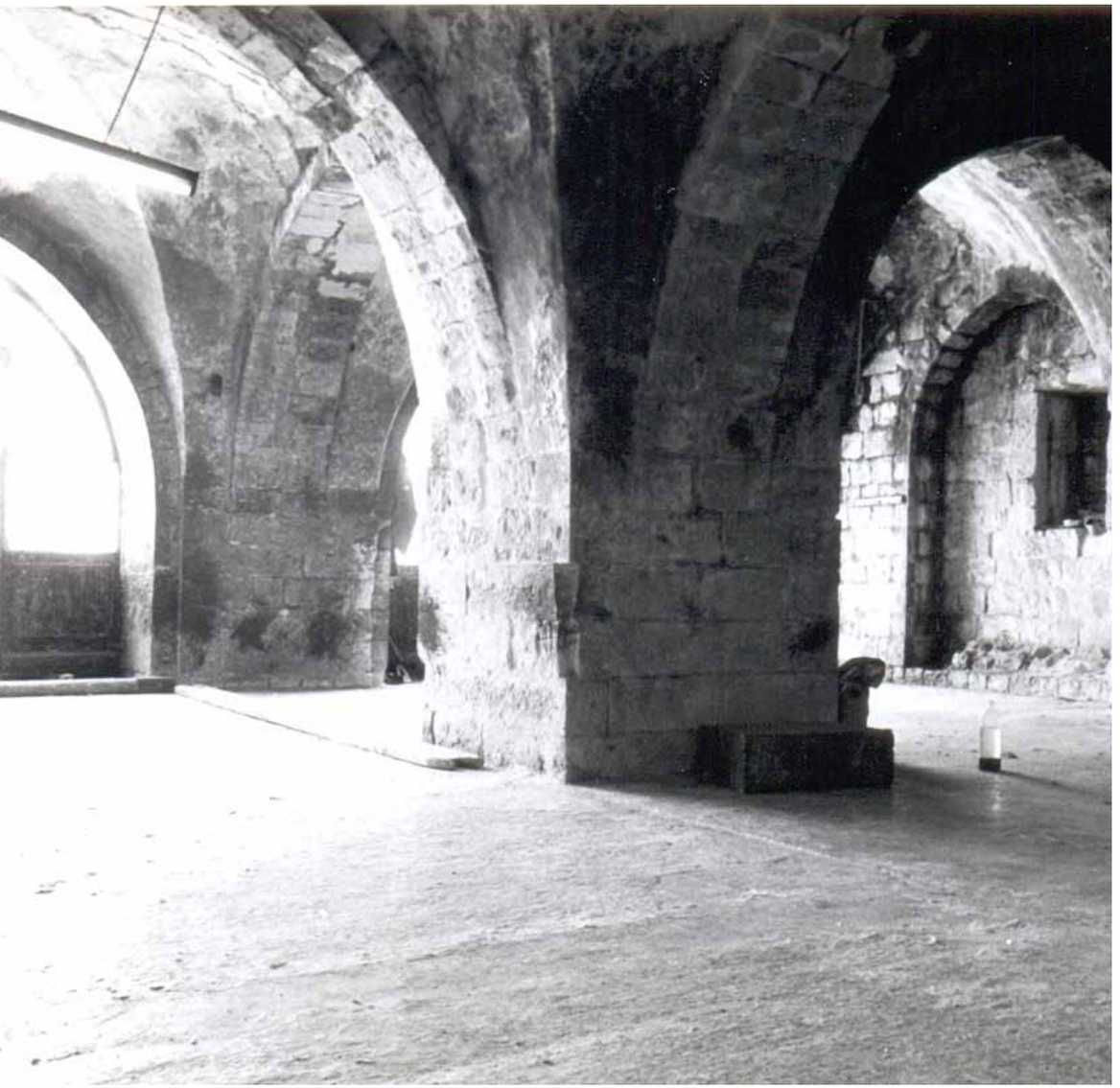

شكل رقم (7): المفرش في مصبنة عاشور

شكل رقم (8): المفرش في مصبنة كنعان

الطابق الاول او المفرش صمم بشكل يناسب الوظيفة التي يستعمل من اجلها وهي بسط الصابون المطبوخ وتقطيعة وتجفيفة، فالطابق الاول واسع ومفتوح، وهو فراغ لا يوجد به الا الاعمدة الضخمة التي تحمل العقود المتقاطعة (انظر شكل رقم 7 وشكل رقم 8). ومع ان ارتفاع الطابق الاول اقل من الطابق الارضي الا ان نوافذ هذا الطابق كبيرة وتحتل معظم واجهة المصبنة المطلة على الشارع وصممت بالتالي لتساعد على ادخال الهواء وتسرع في تجفيف الصابون. اما الدرج الذي يصل الطوابق بعضها ببعض فكان عال وضيق ومعتم وعلى العمال صعود الدرجات الزلقة مرات عديدة حاملين الدلاء المملوءة بالصابون المطبوخ ليفرد على ارض المفرش.

المادة الرئيسية المستخدمة في بناء المصابن هي الحجر الجيري، وهي من مواد البناء التقليدية في فلسطين والمستعملة في مباني البلدة القديمة كافة. وقد استعمل الحجر في بناء الجدران السميكة بعمق يتراوح في المعدل بين 100–120 سم، كما استخدم في الداخل في بناء الاقواس الحجرية والعقود.

3.2 الواجهات الخارجية للمصابن

اول ما يلاحظ في الواجهة الرئيسية للمصبنة، وجود الفتحات الكبيرة الخاصة بالمفرش الذي يقع في الطابق الاول من المبنى (انظر شكل رقم 9 وشكل رقم 10 وشكل رقم 11). ويُظهر تصميم

الواجهه العلاقة القوية بين المبنى ومحيطه الخارجي، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال وجود نوافذ المفرش التي تحتل كامل المساحة المتاحة انشائياً ما بين الاعمدة الضخمة والاقواس العلوية الممتدة فيما بينها. ويمكن التعرف على مباني المصابن من الخارج عن طريق ملاحظة نوافذ المفرش التي تبرز ضمن النمط التقليدي للفتحات في واجهات البلدة القديمة التي تتميز بسيطرة المساحات المصمتة.

شكل رقم (9): الواجهة الرئيسية لمصبنة طوقان في حارة القريون

شكل رقم (10): واجهة مصبنة عاشور، شارع النصر

شكل رقم (11): واجهة مصبنة النابلسي، حارة القريون

ومن العناصر المهمة في واجهة المصبنة، المدخل الضخم الذي صمم بعناية تدل على الاهمية والقيمة التي كانت تتمتع بها تلك المباني. وقد اختلفت تفاصيل المدخل بين مصبنة واخرى فظهر في اغلبها فتحة الباب يعلوها عقد موتور ويتوجها في مستوى اعلى عقد مدبب. وبينما اتسم التصميم في اغلب الحالات بالبساطة فقد ظهرت في بعض الاحيان التفاصيل الحجرية والزخارف في القوس الذي يتوج فتحة الباب (انظر شكل رقم 12 - أ - ب).

شكل رقم (12 - أ): زخارف في مدخل المصبنة

شكل رقم (12 - ب): زخارف في مدخل المصبنة

اما نوافذ الطابق الارضي فهي قليلة، وصغيرة المساحة مقارنة بنوافذ المفرش. وفي حال وجود سكن لمالك المصبنة في طابق علوي فوقها، تظهر في واجهته نوافذ صغيرة نسبياً لتناسب الوظيفة وتوفر الخصوصية المطلوبة في المباني السكنية (انظر الشكل رقم 13). وبذلك تعكس واجهات المصابن بشكل واضح اختلاف الوظيفة التي يشغلها كل مستوى في المبنى.

شكل رقم (13): واجهة مصبنة عاشور وتظهر نوافذ المفرش يعلوها نوافذ المسكن

4.2 المصابن في نابلس القديمة

تمتاز البلدة القديمة في نابلس بوجود عدد كبير من المصابن ضمن نسيجها الحضري التقليدي. فخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت معظم المصابن توجد في أحياء الحبلة والياسمينة والغرب، ومع زيادة الطلب على الصابون النابلسي وازدهار صناعته خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر، شهدت المدينة ازدياداً في عدد المصابن العاملة فيها، وتضاعف عددها ما بين الاعوام 1860 و 1882، حتى غدت المدينة بأكملها وكأنها مصنع كبير للصابون. واصبح معظم الانتاج يتركز في الجزئين الجنوبي والغربي من المدينة، قرب ما بات يعرف اليوم بشارع المصابن. ففي عام 1860 كان عدد المصابن التي كانت تعمل بطاقة كاملة في نابلس 15 مصبنة، فاصبح عددها في عام 1882 ثلاثين. وخلال الحرب العالمية الثانية، كان عدد المصابن التي تعمل بطاقة كاملة في نابلس 29، منها 23 مصبنة كبيرة والباقية صغيرة (دوماني ، 1998: 304- 305). وللوقوف على اهمية صناعة الصابون في نابلس، في النصف الاخير من القرن التاسع عشر، يكفي ان نعلم بأن فلسطين كانت اكبر مصدر للصابون في الهلال الخصيب، وان مضاعفة تصدير الصابون من فلسطين خلال الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر قد واكب تضاعف عدد مصابن نابلس، وان نابلس وحدها كانت تملك 30 مصبنة من المجموع الكلي لمصابن فلسطين البالغة اربعين في ذلك الوقت (دوماني، 1998: 308).

شكل رقم (14): واجهه في شارع المصابن في البلدة القديمة

عند دراسة توزيع مباني المصابن في البلدة القديمة في نابلس، يلاحظ وجودها في كافة الاحياء بلا استثناء، مع كثافة تواجدها في جنوب المدينة حول شارع المصابن (انظر شكل رقم 14 وشكل رقم 15). وقد اندمجت هذه المباني الضخمة بشكل انيق ضمن النسيج الحضري للمدينة القديمة، واضحت من المكونات الهامة التي تميز البلدة القديمة وتطبعها بطابع فريد. وقد بقي التصميم المعماري للمصابن محافظاً على السمات التقليدية الخاصة والمميزة لهذه المباني والتي تتماشى تماماً مع الوظيفة التي انشأت لاجلها، مثلما حافظ الصابون النابلسي على مكوناته وطريقة صنعة التقليدية ونوعيته حتى يومنا هذا.

ولعل استخدام المواد الطبيعية في صناعة الصابون كان السبب وراء انعدام المخلفات غير المستحبة او الروائح الكريهه خلال عملية التصنيع، فلم يكن هناك عائق امام انشاء المصابن داخل الاحياء السكنية في البلدة القديمة، بل انها وجدت ملاصقة لمساكن اصحابها، فكان بيت مالك المصبنة يبنى فوقها اوبالقرب منها وملاصقا لها.

شكل رقم (15): شارع المصابن في البلدة القديمة

في الوقت الحالي يوجد في البلدة القديمة في نابلس عدد كبير من مباني المصابن، يقدر بأكثر من ثلاثين مصبنة. 32 % اي ثلث هذا العدد تقريباً من مباني المصابن، مهجور، مغلق وغير مستغل، بينما الثلث الاخر من المصابن يستعمل لغايات مختلفة عن صناعة الصابون، فقد تغير استخدام ما يقرب من 32 % من مصابن البلدة القديمة ليصبح مخازن او معامل لصناعات اخرى. وهناك عدد من المصابن المهدمة يقدر ب 18 % من العدد الكلي لمصابن نابلس القديمة، بعضها دمر خلال الزلزال الذي ضرب المدينة عام 1927 والبعض الاخر، كمصبنة كنعان والمصبنة الشعراوية فقد تم تدميرهما بشكل كامل خلال الاجتياح الاسرائيلي للمدينة عام 2002. وتبقى نسبة ضئيلة تصل الى 18 % من مصابن البلدة القديمة لا تزال تعمل ولو ان بعضها يعمل بوتيرة ضعيفة وبشكل متقطع، لينتج الصابون النابلسي بمكوناته الاصلية وطريقة صناعته التقليدية القديمة.

ومع ان مباني المصابن اتبعت نمطاً معيناً في تصميمها، الا ان البلدة القديمة احتوت على امثله تنفرد بمميزات خاصة، كوجود طابقين لفرش الصابون في مصبنة قرمان (ابو الروس)، ووجود مفرش في الطابق الارضي في مصبنة كنعان التي تم تدميرها بالكامل خلال الاجتياح الاسرائيلي لنابلس عام 2002. وقد كانت مصبنة كنعان مثالاً فريداً، يمتاز بمسقط افقي غني ومختلف في تصميميه عن باقي مباني المصابن في المدينة، فقد احتوت على مفرشين لبسط الصابون في الطابق الارضي، بالاضافة الى المفرش الرئيسي في الطابق الاول. ايضاً تميزت بأن الدرج الذي يربط بين الطابق الارضي والطابق الاول فيها كان عريضاً وجيد الاضاءة ومفتوح على الطابق الارضي بواسطة فتحة يعلوها قوس نصف دائري (انظر شكل رقم 16). كما اختلفت بطريقة الدخول للمبنى عبر فراغ مربع مسقوف بعقد مصلب يفضي الى فناء صغير مفتوح يمكن الوصول من خلاله الى مدخل المصبنة، وايضاً الى سكن صاحب المصبنة، الموجود فوقها، عن طريق درج ضيق وطويل.

شكل رقم (16): الدرج الذي يصل المفرش بالطابق الارض في مصبنة كنعان

3. تصنيع الصابون

1.3 المواد التي تدخل في صناعة الصابون:

كانت المواد التي تدخل في صناعة الصابون طبيعية 100 %، وتتكون من زيت الزيتون الصافي الناتج من عصر ثمرة الزيتون. والقلو (او القلي) اوالصودا الكاوية الطبيعية، وهو الرماد الذي ينتج عن حرق نبات شتان الشيح او الحمض او اغصان شجرة الدردار، وكان البدو من عرب البلقاء يحرقون كميات كبيرة من النبات لانتاج القلو ويبيعونه لتجار نابلس ليستعمل في صناعة الصابون (الشريف، 1999: 21). ايضاً استخدم الشيد التي يستخرج من الحجارة الكلسية، المتوفرة في المناطق الجبلية من فلسطين، ويمكن الحصول عليه بوضع الحجر الكلسي في حفرة كبيرة وتغطيته بالحطب وحرقه. وكذلك استعمل الجفت كوقود، وهو عبارة عن المادة الناتجة عن مخلفات عصر الزيتون، فبعد الانتهاء من عملية العصر، تجفف بذور الزيتون المسحوقة في الشمس ثم توضب لاستعمالها وقوداً، وهي تحتفظ بالحرارة وتحترق لفترة طويلة مثل حبات الفحم الصغيرة (دوماني، 1998: 403). وفي الستينات من القرن التاسع عشر تم ادخال الصودا الكاوية الى الصناعة، فأصبحت تستعمل بدل مزيج القلو والشيد (دوماني، 1998: 245)، كما استبدل الجفت بمنتجات البترول.

2.3 الادوات المستخدمة في صناعة الصابون:

لا يزال الصابون النابلس محتفظاً بالطريقة التقليدية في الصناعة باستعمال ادوات قليلة وبسيطة، (انظر شكل رقم 17) ، تتكون مما يلي (الشريف، 1999: 64-66):

- المخاضة: وهي قضيب من الخشب يصل طوله الى 2،5 متر، مثبت في رأسه السفلي قرص خشبي قطره 25 سم، وتستعمل المخاضة للتحريك عند بداية عملية التصبن.
- الدكشاب: اداة خشبية تشبه الملعقة الكبيرة ويبلغ طولها حوالي الاربعة امتار، وتستعمل لتحريك طبخة الصابون اثناء عملية التصبن.
- الشمامة: اداة من الخشب تستعمل لاخذ عينة من الصابون لفحصها للتاكد من انتهاء عملية طبخ الصابون.
- العوامة: تتكون من قضيبين من الخشب طول كل واحد منهما 3م، متصلين من احد الاطراف مع قطعة مستطيلة من الخشب ومربوط بها عند الطرف العلوي حبل. تستعمل العوامة في نهاية السفي حيث يتم بواسطتها تجميع الصابون من اسفل الحلة فوق ماء الخمير.
- علب البسط: اوعية من الصفيح، شكل الواحد منها اسطواني وله قاعدة من الخشب السميك، ويستوعب حوالي 17 كغم من الصابون اللزج.

شكل رقم (17): بعض الادوات التي تستخدم في صناعة الصابون (المالج والشوكة والختم)

- الشوكة: قطعة من الحديد مبسطة، لها رأس مدبب طوله يساوي عمق الصابون عند البسط، وتستعمل لتحديد سمك الصابون عند عملية البسط، ويكون لها مقبض من الخشب.
- المالج: قطعة مستوية من الحديد، لها مقبض من خشب لتسوية سطح الصابون بعد عملية البسط.
- المقشرة: صفيحة معكوفة بزاوية منفرجة مثبت بها ذراع خشبية، وتشبه في شكلها شفرة الحلاقة، تستعمل لبشر سطح الصابون المبسوط بعد ان يجمد ليصبح املس.
- المقطع (السكين): سكين خاص مثبت على ذراع من الخشب طوله 70سم.
- الدوبارة: خيط من الكتان.
- الفرجار: اداة لقياس وتحديد المسافات.
- الاختام: وهي عبارة عن قطعة من النحاس تحمل الماركة المسجلة للمنتج وتكون مثبته على مطرقة خشبية

3.3 عملية تصنيع الصابون

في الماضي، كان الصابون النابلسي يصنع بواسطة غلي محلول القلو والشيد مع زيت الزيتون. وكان تحضير مزيج القلو والشيد يتم بوضع القلو في جرن حجري ودقه بمهباج خشبي حتى يصبح مسحوقاً ناعماً، بينما يفرش الشيد في حوض قليل العمق وينقع في الماء ويترك حتى يتخثر ويجف ثم يطحن طحنا ناعما، بعد ذلك يخلط المسحوقان (دوماني، 1998: 303). اما في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً فقد تم استبدال مزيج القلو والشيد بمادة الصودا الكاوية التي ما زالت تستعمل في انتاج الصابون النابلسي حتى الان.

شكل رقم (18): صورة قديمة لمصبنة في نابلس اثناء العمل

تتم عملية طبخ الصابون في الحلة المعدة خصيصاً لذلك (انظر شكل رقم 18 وشكل رقم 19)، فتطبخ المواد من زيت زيتون ومحلول الصودا على النار. وتقدر كمية الزيت التي كانت تستعمل في كل طبخة بمعدل 250 جرة (اي حوالي 5000 كلغ)، تنقل من البئر (الجنيب) بجوار القميم. وكان هذا البئر يتسع للكمية نفسها التي تستوعبها الحلة وتستخدم في كل طبخة، وقد صمم موقعه بحيث يوفر الوقت في عملية الكيل، التي كانت تجري بواسطة دلو خاص الى جرة ثم الى الحلة، كما كان في الوقت ذاته يعمل على الحفاظ على الطاقة، فعندما تنتهي الطبخة الاولى تكون الثانية دافئة وجاهزة للبدء بها (دوماني، 1998: 303). يحرك المزيج في بداية عملية التصبن بواسطة المخاضة، وبفعل اختلاف الكثافة بين الزيت والماء ينفصل معظم محلول الصودا الذي يسمى ماء الخمير ويبقى في اسفل الحلة، ويتم استخلاص كمية منه بواسطة المبزل المعد لذلك (انظر شكل رقم 20)، ويتم رفع نسبة تركيز الصودا في ماء الخمير ويوضع في احواض التخمير. وبعد ان يتم التأكد من تركيز الصودا المناسب في الخمير، يرفع من الحوض ويرش فوق الزيت في الحلة وتسمى هذه العملية "ردة" (الشريف، 1999: 66-67). ويحرك المزيج في الحلة بواسطة الدكشاب وتكرر عملية استخلاص ماء الخمير وزيادة تركيزه واضافته الى الحلة مرات عديدة، كما يضاف الماء العادي الى المزيج اثناء الطبخ للتسريع في عملية التصبن، حيث تكون جزيئات الزيت قد تحللت وبدأت بالتفاعل مع الصودا وتكون الصابون. وتتكرر العملية حتى يتم التأكد من تمام عملية التصبن ولا يبقى زيت دون ان يتحول الى صابون (الشريف:1999: 67-68).

شكل رقم (19): الحلة التي يتم بها طبخ الصابون

كان التحكم في تركيز محتوى الصودا في طبخة الصابون والتحكم في عملية التخثر عملاً بالغ الاهمية يقوم به رئيس العمال، فاذا اخرج الصابون قبل اوانه لن يجف، اما اذا اخرج متأخراً فمن شأنه ان يغدو قاسياً جداً ويصعب تقطيعه. وللتأكد من انتهاء عملية الطبخ ووصول الصابون الى مرحلة النضج يغمس رئيس العمال قضيب اسطواني خشبي يسمى الشمامة في الصابون ويقوم بشم السائل ويختبر لزوجته بين يديه (دوماني،1998: 303).

شكل رقم (20): الحلة والمبزل (حوض نصف دائري اسفل الحلة)

بعد التأكد من نضج الصابون ووصوله الى مستوى التخثر المناسب، يترك لليوم التالي لتتم عملية البسط. فيقوم فريق من العمال بنقل الصابون اللزج بواسطة براميل او دلاء صغيرة تسمى علب البسط الى الطابق العلوي من المصبنة حيث يوجد المفرش، ويسكب الصابون على الارض فوق ورق رقيق. ويحدد سمك طبقة الصابون بواسطة عوارض خشبية يبلغ ارتفاعها بين 3-5 سم تقريباً، يصب الصابون بمستواها ويسوى سطحه بواسطة المالج ويقاس سمكه بواسطة الشوكة. يترك الصابون بعد ذلك ليجمد ثم يبشر سطحه ليصبح املساً بواسطة المبشرة (او المقشرة). بعد ذلك، يتم تحديد طول وعرض قطعة الصابون باستعمال الزاوية والفرجار، ثم تمرر خيوط تسمى (الدوبارة) بعد غمسها بمحلول احمر يسمى (غمرة) وتشد فوق الصابون على مسافات متساوية بحيث ترسم خطوط متعامدة فوق الصابون المبسوط على الارض محددة حجم قطع الصابون. وفيما بعد يقوم عمال المصبنة بدمغ المربعات المحددة لقطع الصابون بختم المصبنة المنتجة باستعمال مطرقة خشبية يثبت بها الختم المعدني. ثم يتم تقطيع الصابون الى مكعبات متساوية بواسطة عصا خشبية طويلة ثبتت في طرفها اداة معدنية حادة، وتسمى قطعة الصابون المكعبة (فلقة)، ومقاساتها تقريباً (6سم * 6 سم * 4سم).

تترك قطع الصابون على الارض، لمدة يوم او يومين، ثم يتم تكديس قطع الصابون بشكل ابراج مخروطية مجوفة تسمى تنانير (المفرد تنور) (انظر شكل رقم 23) بحيث يترك فراغات بين القطع للسماح للهواء بالحركة والمساعدة على تجفيف الصابون الذي قد يستغرق شهر او اكثر ليجف. بعد ذلك يتم لف الصابون بالورق الخاص بالمصبنة المنتجة ويوضع في اكياس استعداداً للشحن.

شكل رقم (21): تجفيف الصابون

شكل رقم (22): عملية لف الصابون

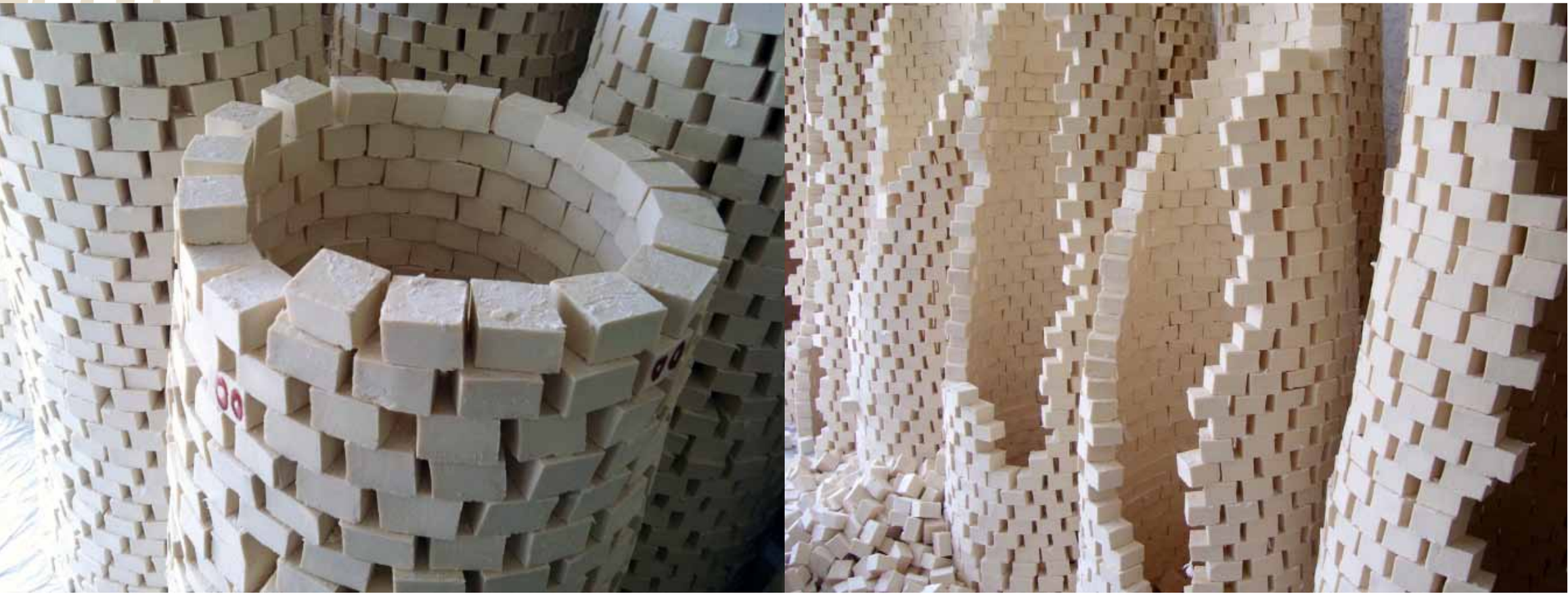

شكل رقم (23): تنانير الصابون

4. المراجع

خضير، جبر (1999) : «نابلس في كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين»، ورقة مقدمة في ندوة نابلس بين الماضي والحاضر،كلية الاداب،قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، نابلس فلسطين

دوماني، بشارة (1998): اعادة اكتشاف فلسطين، اهالي جبل نابلس 1700–1900 ،مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان

الشريف، حسام عبود (1999): صناعة الصابون النابلسي، اصدار مكتبة بلدية نابلس، مركز الوثائق والارشيف، نابلس، فلسطين

كلبونة، عبد الله صالح (1992) : تاريخ مدينة نابلس 2500 قبل الميلاد – 1918م، نابلس فلسطين

AMAD, Eman (1997): Soap Factory (Nablus/ Palestine) (Entry), Encyclopedia of Vernacular Architecture of the World (ed. Paul Oliver), Cambridge University Press, pp 694-695, (1.IX.2.t).

AMAD, Eman (1992): Unpublished M.Arch Thesis, A Conservation Strategy for the Soap Factory Buildings of Nablus, Glasgow University, UK

LE STRANGE, Guy (1890): Palestine Under the Moslems, A description of Syria and the Holy Land from A.D. 650 to 1500, Translated from the work of The Medieval Arab Geographers, Published for the committee of the Palestine Exploration Fund by Alexander P. Watt

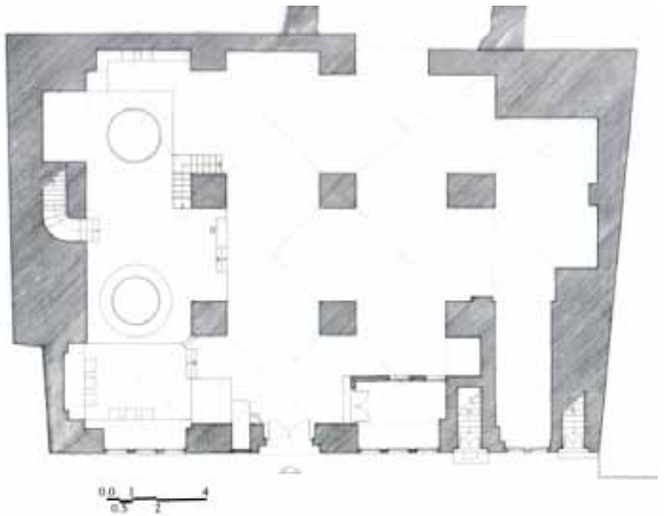

الطابق الارضي

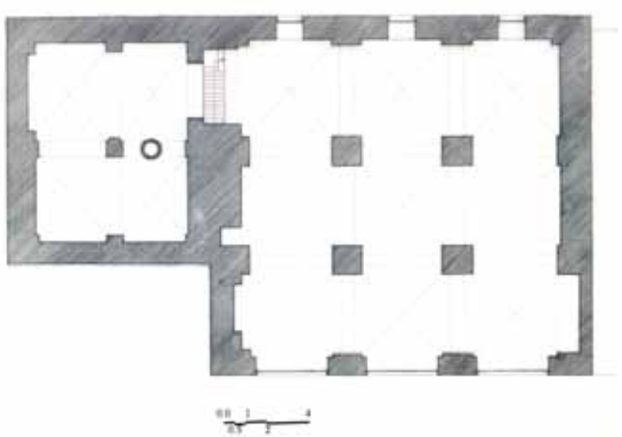

الطابق الأول

شكل رقم (24): مصبنة عاشور، المصدر: (عمد، 1992) رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان
" A Conservation Strategy for the Soap Factory Buildings of Nablus"

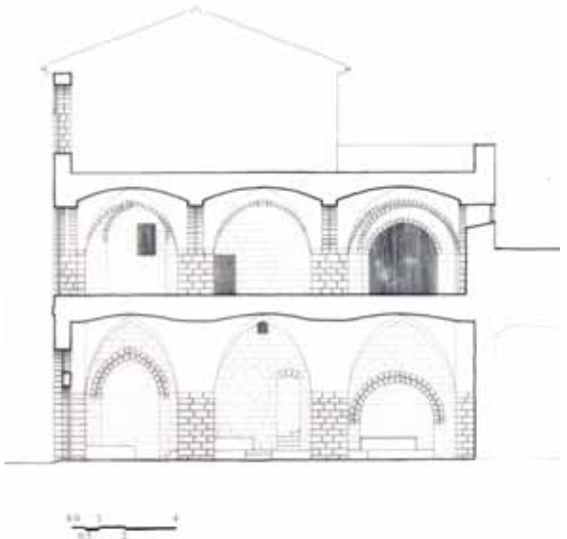

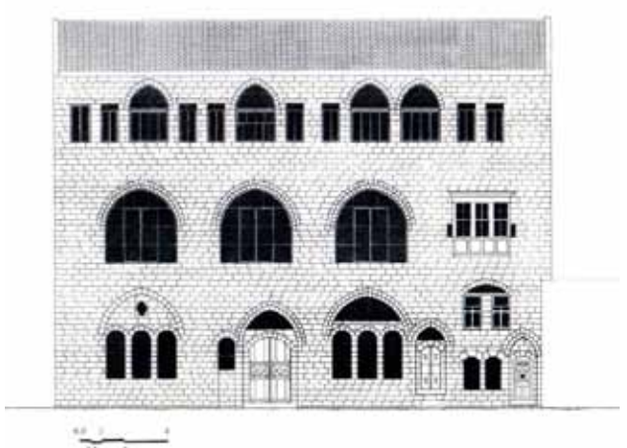

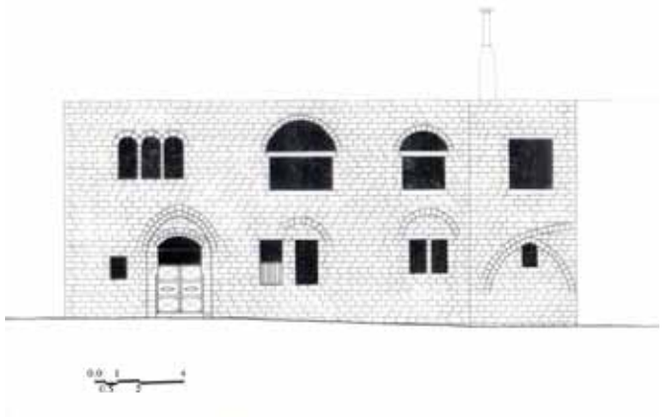

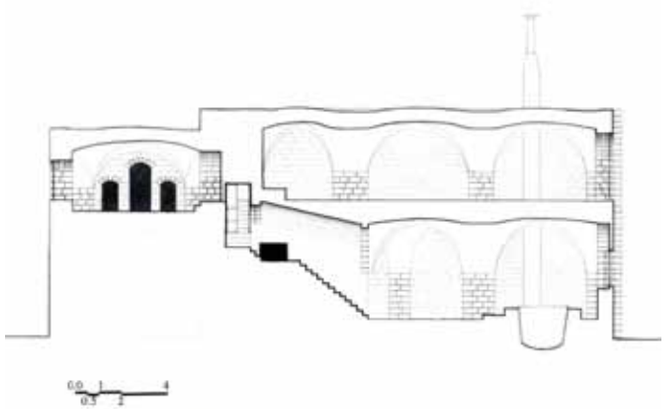

شكل رقم (25): مصبنة كنعان التي تدمرت عام 2002، المصدر: (عمد، 1992)
رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان
" A Conservation Strategy for the Soap Factory Buildings of Nablus "

شكل رقم (26): الوضع الحالي للمصابن في البلدة القديمة في نابلس